المكان في رواية بركان لحميد الحريزي

احمدي نبي محمد
أستاذ مشارك في جامعة الرازي / كرمنشاه
mn.ahmadi217@yahoo.com
شمال عثمان علي
طالب في جامعة الرازي / كرمنشاه
shamalali123456789@gmail.com

The place in the novel Burka by Hamid Al-Harizi

Mohammed Nabi al-Ahmadi
Associate Professor at Al-Razi University, Kermanshah – Iran
shamal Othman Ali
MA student in the Department of Arabic Language, Al-Razi University, Kermanshah – Iran

المستخلص

يُعدُّ المكان أحد المكونات الأساسية في البناء الروائي، إذ يمثل الركيزة التي يقوم عليها الهيكل السردي، ويضفي عليه التماسك الفني المطلوب. فالعلاقة بين الرواية والمكان علاقة تكاملية، حيث تستند إليه الرواية في تشييد عالمها السردي، وربط مكوناتها الداخلية برباط محكم، كما أن المكان بدوره يحتاج إلى السرد الروائي ليمنحه أبعاده الدلالية ويضفي عليه طابعاً جمالياً يعزز حضوره في النص. ومن هنا، يتجلى المكان بوصفه عنصراً جوهرياً في الفن الروائي، لا مجرد خلفية للأحداث، بل هو ركيزة أساسية يساهم في تشكيل التجربة السردية وتوجيه دلالاتها.

ورغم الأهمية الجوهرية للمكان في النصوص الأدبية عموماً، وفي الرواية على وجه الخصوص، ظلّ الاهتمام النقدي به محدوداً لفترات طويلة، ولا سيما في الدراسات العربية، حيث انصبَّت الأبحاث النقدية في الغالب على تحليل مكونات السرد الأخرى، مثل بنية الأحداث، ووظائف الشخصيات، وزمن السرد، والأسلوب اللغوي، بينما لم يحظَ المكان بالدراسة المستفيضة التي تتناسب مع دوره المركزي في البناء الروائي.

هذه الرواية التي نُشرت في عام ٢٠٢٤م. تسلط الضوء على موضوع انتفاضة تشرين في النجف الأشرف، حيث يتمحور المكان حول المدينة التي تمثل مركزاً ثقافياً ودينياً. لذا تعد دراسة المكان في رواية "بركان" لحميد الحريزي ضرورية لأنها تقدم صورة حية للمعاناة والأمل التي عاشها المحتجون خلال تلك الفترة، وكذلك تقوم بإظهار البعد الإنساني للقضايا المطروحة وتسليط الضوء على أهمية المكان في تشكيل الهوية الوطنية للأفراد والمجتمعات.

وقد اعتمدنا على المنهج التحليلي التوصيفي الذي يستطيع تفكيك الطبقات العميقة للمعاني والدلالات الكامنة في المكان.

أظهرت نتائج الدراسة التي توصل إليها الباحثان أن المكان يشكل عنصراً مهماً يساهم في خلق الإثارة والتشويق في البناء الروائي، وقدرته على احتضان احداث غير متوقعة تحفز القارئ لمواصلة استكشاف الأحداث.

الكلمات المفتاحية: الأدب، المكان، الرواية، بركان، حميد الحريزي.

Abstract

Place is one of the basic components of the narrative structure, as it represents the pillar on which the narrative structure is based, and gives it the required artistic coherence. The relationship between the novel and place is an integral one, as the novel relies on it to construct its narrative world, and to link its internal components with a tight bond. Place, in turn, needs the narrative narrative to give it its semantic dimensions and give it an aesthetic character that enhances its presence in the text. Hence, place appears as an essential element in the art of the novel, not just a background for events, but rather a basic pillar that contributes to shaping the narrative experience and directing its connotations. Despite the essential importance of place in literary texts in general, and in the novel in particular, critical interest in it remained limited for long periods, especially in Arab studies, where critical research mostly focused on analyzing other narrative components, such as the structure of events, character functions, narrative time, and linguistic style, while place did not receive the extensive study that is commensurate with its central role in the narrative structure. The novel sheds light on the subject of the October uprising in Najaf, where the place revolves around the city, which represents a cultural and religious center. Therefore, studying the place in Hamid Al-Harizi's novel "Volcano" is necessary because it presents a vivid picture of the suffering and hope experienced by the protesters during that period, as well as showing the human dimension of the issues raised and highlighting the importance of the place in shaping the national identity of individuals and societies.

We relied on the analytical descriptive approach that can deconstruct the deep layers of meanings and connotations inherent in the place.

The results of the study reached by the researchers showed that the place constitutes an important element that contributes to creating excitement and suspense in the novel structure, and its ability to embrace unexpected events motivates the reader to continue exploring the events.
Keywords: Literature, Place, novel, Burkan, Hamid Al-Harizi.

.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد المكان عنصراً مهماً يتفاعل مع باقي عناصر السرد، يُشكّل الشخصيات ويؤثر في أفعالها ويساهم في بناء القصة وتطويرها، لذلك نجد أن المكان في بعض النصوص يتحول إلى رمز يجسد قضايا أعمق ويساهم في خلق تأثير نفسي عميق على الشخصيات وعلى المتلقي أيضاً. «المكان أحد العناصر الضرورية والمهمة في البناء القصصي سواء أكان هذا البناء معبراً عن الواقع المعيش أم آتياً عبر المتخيل الذهني للقاص نفسه، ويستوعب القاص نفسه العلاقات الاجتماعية والثقافية المتبادلة بين الإنسان ومجتمعه وارتباط هذه العلاقات بمكون المكان» (محمدي، ٢٠١١م، ص٣٩)

المكان في الرواية لا يقتصر على كونه مكاناً جغرافياً أو مادياً فحسب، بل يصبح بمثابة عنصر حي يساهم في تشكيل الزمن و الشخصيات. المكان هو الذي يحدد البيئة التي تتفاعل فيها الشخصيات مع بعضها، وهو الذي يعطي للأحداث سياقاً وتوجّهاً. بوجوده، تتضح العلاقات بين الشخصيات والأحداث، ويُصبح المكان جزءً من الهوية الروائية نفسها، بما يحمل من رمزية ودلالات نفسية واجتماعية.

فوجود المكان يساهم في تحديد الزمان أيضاً، حيث يربط بين لحظات معينة ويخلق الأجواء المناسبة للأحداث، ويعطي للمروي تجربة حية ذات بعد مكاني وزماني متكامل. ومن ثم، لا تكتمل الرواية من دون مكان يحتضن الأحداث ويمنحها وجوداً ملموساً. «إذ أن المكان يمثل الخلفية التي تقع عليها أحداث الرواية أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث نفسها وتطورها فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه فالمكان هو

الإطار الذي تقع عليه الأحداث، وهناك اختلاف بين طريقة الزمن وطريقة إدراك المكان، إذ أن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي؛ أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي، وقد يسقط الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة لتوضيحها والتعبير عنها.» (قاسم، ٢٠٠٤م، ص٧٦)

حميد الحريزي، الكاتب العراقي المعروف، يمتاز بأسلوبه الأدبي المميز ومساهماته البارزة في الأدب العراقي والعربي، خاصة في مجال الرواية والقصة القصيرة، يتميز أسلوبه بالتركيز على التفاصيل الصغيرة والكبيرة للأحداث، مما يجعل أعماله غنية بالمعاني والعواطف، يستخدم الحريزي لغة بسيطة لكنها مؤثرة، مما يجعل أعماله قريبة من القارئ وتترك أثراً عميقاً في النفس. باختصار، حميد الحريزي كاتب ملتزم بقضايا شعبه، يتميز بأسلوب سردي مؤثر، ويساهم في توثيق التاريخ العراقي من خلال أعماله الأدبية المتنوعة.

حميد الحريزي أبدع في كتابة هذه الجدارية السردية المركزة والعميقة المعاني، مستلهماً تجربته الشخصية ومعايشته المباشرة للأحداث بكل تفاصيلها الدقيقة والكبيرة. وقد جسد الحريزي في الرواية دور الكاتب والشاهد والبطل، مما جعل السرد نابضاً بالحياة. جاءت الرواية متناسقة في بنيتها، تجمع بين الثورية والدرامية بأسلوب مختصر وعنيف، يحمل بين طياته الألم والدماء، لكنه يفيض بروح التحدي والمقاومة.

تُعد رواية "البركان" نموذجاً مميزاً للرواية القصيرة التي تدمج بين السرد الواقعي والنقد السياسي والاجتماعي. فهي ليست مجرد عمل أدبي، بل هي شهادة حيّة على معاناة الإنسان في ظل القمع وكبت الحريات. الرواية تقدم رؤية عميقة وساخرة للواقع، مسلطةً الضوء على التناقضات التي يعيشها المجتمع

وقد تناولنا في هذا البحث موضوع المكان، متعمقاً في دراسته من عدة زوايا مختلفة، حيث استعرض مفهوم المكان من خلال مناقشة الجوانب المتعددة المرتبطة به. شمل البحث تقديم ملخص موجز عن الرواية وسياقها العام، بالإضافة إلى التعريف بحياة الكاتب وأبرز أعماله الأدبية. كما تناول مفهوم المكان لغةً واصطلاحاً، مع التركيز على أنواعه في السرد الروائي، مثل المكان المغلق والمكان المفتوح، ودورهما في بناء النص الروائي وإبراز أبعاده السردية والدلالية.

الدراسات السابقة

على الرغم من وفرة البحوث التي تناولت المكان في الروايات، إلا أن رواية بركان لم تحظَ حتى الآن بأي دراسة أكاديمية متخصصة، سواء فيما يتعلق بأنماط المكان أو غيرها من العناصر السردية، وذلك لأنها نُشرت حديثاً في عام ٢٠٢٤م. إلا أن أبرز الدراسات التي تناولت المكان في الروايات هي:

١- فاطمة الزهراء بن يحيى، تاريخ النشر (٢٠١٣م) «المكان داخل النص الروائي»، يهدف هذا البحث إلى توضيح إشكالية أهمية دور المكان داخل النص الروائي وأنماطه وإبعاده والإجابة عنها.

٢- سعدية موسى عمر البشير، تاريخ النشر (٢٠٢١م) «أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالته في رواية مرسى فاطمة» لحجي جابر، دراسة سيميائية. تلقي هذه الدراسة الضوء على عمل من الأدب المكتوب باللغة العربية من خلال دراسة أنواع المكان الروائي ودلالته وبنائه.

٣- هاني شكري عبد الغفور الديب، تاريخ النشر (٢٠٢٢م.) «تجليات المكان في رواية الجرار الأصفر لطالب أبايدين دراسة تحليلية نقدية» يدور هذا البحث حول البنية المكانية في رواية الجرار الأصفر، لذا فإن البحث يهتم بتحليل البنية المكانية باعتبارها

أحد العناصر التي تنهض عليها الرواية، مقارنا بين المكان في القرية ونظيره في المدينة باعتبارها النظير الموضوعي للقرية. كذلك التطرق للعنصر الإنساني وتفاعله مع المكان وتبدل حالاته النفسية وفقا له وتبدل المكان ذاته وفقا لرؤية الإنسان له.

٤- مروان سعدي صالح، تاريخ النشر (٢٠٢٣م.) «المكان في رواية السبيليات الإسماعيل فهد دراسة جمالية تحليلية» يتناول هذا البحث الانطلاق من رؤية مفادها أن الكاتب عندما يتطرق إلى استخدام الزمان وتجلياتهما في روايته، فإنه يكشف وعيه بجوهر الصرع في الحياة كما يكشف وعيه بتفاعلات هذا الصراع.

٥- محمّدنبي الأحمدي، محمّد ياس جدعان (٢٠٢٤م.) «المكان في رواية ٣٠ نوفمبر للروائي أحمد علاء الدين» يتقن الكاتبان استخدام المكان لتعميق الصراعات والتوترات داخل الرواية. يمكن للأمكان أن تكون رمزاً للمعاناة أوالأمل. وقد تكون محطة لتطوّر الشخصيّات أو تحوّلاتها. هذا الاستخدام الدقيق للمكان يجعل منه عنصراً أساسيّاً في بناء البنيّة السرديّة وفهم عمق الروايّة.

٦- سناء سلمان، تاريخ النشر (٢٠٢٤م)، جماليات المكان في الرواية العربية الحديثة رواية بيت القبطية للكاتب أشرف العشماوي انموذجاً. يتناول البحث جماليات المكان في الرواية العربية الحديثة من خلال دراسة رواية بيت القبطية لأشرف العشماوي، ويقدم تحليلا لأبعاد المكان في الرواية العربية المعاصرة.

٧- محمّدنبي الأحمدي، أحمد توفيق مطر (٢٠٢٥م.) «أنماط المكان في رواية أحد الرجال كيئتشيرو هيرانو» يظهر الكاتب براعة في دمج البيئة مع تطوّر الحبكة والشخصيّات. فالأماكن ليست مجرّد خلفيات للأحداث بل تلعب دوراً نشطاً في تشكيل النص وتعزيز الأبعاد النفسيّة والاجتماعيّة.

إلا أنه، وكما أشرنا سابقاً، لم يُكتب حتى الآن أي بحث علمي عن رواية بركان، نظراً لأنها طبعت في ٢٠٢٤م.

نبذة عن حياة الكاتب

حميد لفتة دخيل الحريزي، المولود في ١ يوليو ١٩٥٣م. في محافظة النجف الأشرف في العراق، هو أديب وكاتب وصحفي عراقي بارز. نشأ في أسرة فلاحية عمالية فقيرة، حيث كان والداه أميين، في ريف المشخاب التابع لمحافظة النجف، المشهور بزراعة أجود أنواع الأرز "العنبر". بسبب الظروف المعيشية الصعبة، هاجرت أسرته إلى المدينة في عام ١٩٦٣م. حيث واجهوا تحديات اقتصادية واجتماعية جديدة.

بدأ الحريزي مسيرته الأدبية في سن مبكر، حيث كان يكتب الشعر والقصة والمقالات السياسية. تميز بإنتاجه الأدبي المتنوع، حيث كتب في مجالات الشعر والقصة والرواية والنقد الأدبي.

من أبرز أعماله الروائية ثلاثية "محطات" التي تضم: "العربانة"، "كفاح"، و"البياض الدامي"، والتي تغطي فترة زمنية تمتد من أربعينيات القرن العشرين إلى الوقت الحاضر، مسلطة الضوء على تاريخ الحزب الشيوعي العراقي. كما كتب في مجال الرواية القصيرة جداً، حيث أصدر أعمالًا مثل "مذكرات كلب"، "هذيان محموم"، "أرض الزعفران"، و"مقايضة"، مستخدماً أسلوباً سردياً مكثفاً ومركزاً.

بالإضافة إلى كتاباته الأدبية، عمل الحريزي في مجال الصحافة، حيث نشر العديد من المقالات والدراسات في الصحف والمجلات العراقية والعربية. يُعتبر عضواً نشطاً في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، وشارك في العديد من الملتقيات والمهرجانات الأدبية داخل العراق وخارجه.

تُركز كتاباته على النقد الاجتماعي والسياسي، مسلطاً الضوء على معاناة الفقراء والكادحين، ومستخدماً أسلوباً يجمع بين الواقعية النقدية والرمزية. يُعتبر الحريزي من الأدباء الملتزمين بقضايا المجتمع، حيث يسعى من خلال كتاباته إلى نشر الوعي والثقافة والتطور بين أبناء الأمة.

من خلال مسيرته الأدبية الغنية والمتنوعة، استطاع حميد الحريزي أن يترك بصمة واضحة في المشهد الأدبي العراقي والعربي، مقدماً أعمالاً تمثل الواقع الاجتماعي والسياسي، وتدعو إلى التغيير والتحول الحضاري.

ملخص الرواية

رواية "البركان" للكاتب حميد الحريزي تمثل عملاً أدبياً مهماً يتناول أحداث انتفاضة تشرين ٢٠١٩م. في العراق، وتحديداً في مدينة النجف الأشرف. هذه الرواية ليست مجرد سرد للأحداث التاريخية، بل هي توثيق أدبي لتلك المرحلة النضالية التي شهدت تضحيات كبيرة من قبل الشباب العراقي في مواجهتهم للفساد والظلم السياسي. من خلال هذه الرواية، يقدم الحريزي رؤية نقدية للأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق، ويضع القارئ أمام الواقع الحي للمظاهرات والمواجهات الدموية التي تجسدت في النجف وبقية المدن العراقية.

الرواية تُسجل بوضوح أسماء الشهداء الذين سقطوا خلال الاحتجاجات، وهي خطوة تعكس الجدية في توثيق تلك اللحظات التاريخية. حيث تم ذكر ٤٢ شهيداً بأسمائهم في الرواية، مما يضيف إلى العمل بُعداً إنسانياً وعاطفياً، ويصور حجم المعاناة والدماء التي دفعها الشباب من أجل تحقيق التغيير. فالرواية لا تقتصر على كونها مجرد توثيق للأحداث، بل هي أيضاً سرد ينبض بالحياة ويبين الصراع الداخلي للشخصيات التي عاشت تلك اللحظات.

تُعتبر "البركان" أيضاً نموذجاً للأدب الذي يدمج بين التوثيق الأدبي والواقع السياسي، وهو ما يجعلها مادة غنية للدراسة الأكاديمية. من خلال هذه الرواية، يتضح دور الأدب في توثيق الحركات الاجتماعية، وفي تقديم سرد يعبّر عن صراع الشعوب مع السلطات التي تحاول إدامة فسادها. الحريزي من خلال لغته البسيطة والرمزية، يعكس في النص أفكارًا أعمق تتعلق بالحرية، والكرامة الإنسانية، والبحث عن العدالة.

وفي النهاية، "البركان" ليست مجرد رواية عن احتجاجات أو مظاهرات، بل هي شهادة على مرحلة مفصلية في تاريخ العراق الحديث. الحريزي من خلال هذه الرواية، لا يُسلط الضوء على أحداث تشرين وحسب، بل يطرح أسئلة كبيرة حول هوية العراق المستقبلية، وحول قدرة الشباب على صناعة التغيير.

مفهوم المكان

لغة: من الناحية اللغوية، وبالعودة إلى المعاجم اللغوية نجد أن كلمة "المكان" وردت بدلالات متقاربة ومعانٍ متشابهة، ومن أبرز هذه الدلالات ما ورد في "لسان العرب" في مادة (مكن) والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع. قال ثعلب يبطل أن يكون مكان فعال لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك واقعد مقعدك قعد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه قال: وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب شبه الحرف بالحرف.» (ابن منظور، ١٩٥٦م، ١٣/ ص٤١٤)

وذكر معجم "العين" معاني متعددة لكلمة "مكان" في باب الكاف والمكان اشتقاقه من كان يكون، فلما كثرت صارت الميم كأنها أصلية فجمع على أمكنة، ويقال أيضا تمكن، كما يقال من المسكين تمسكن وفلان مني مكان هذا. وهو مني موضع العمامة،

وغير هذا ثم يخرجه العرب على المفعل، ولا يخرجونه على غير ذلك من المصادر» (الفراهيدي، بدون سنة نشر، ٥/ ص٤١٠)

ووردت كلمة "المكان" في "تاج العروس" للزبيدي: الموضع الحاوي للشيء. وجمعه أمكنة كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع، وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف. ويستشهد الزبيدي برأي الليث المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية.» (الزبيدي، ٢٠٠١م، ٣٦/ ص١٩٠)

ووردت لفظة "المكان" في العديد من آيات القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، منها المنزلة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً لِلطَّاغِينَ مَآباً﴾ (النبأ، ٢١، ٢٢) الموضع أو المستقر كما في قوله تعالى: ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا﴾ (مريم١٦،) أي موضعاً . المقعد، كما في قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران،١٢١) مقام، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة، ١٢٥) يتضح من هذه الآيات أن القرآن الكريم قد استخدم كلمة "المكان" ليمنحها معاني مختلفة حسب سياقها، فتارة تدل على المنزلة، وتارة على الموضع أو المقعد أو المقام، مما يبين مدى ثراء اللفظة في التعبير القرآني ودقتها في تحديد المعاني.

اصطلاحاً

إن تحليل المكان في الرواية لا يمكن أن يكون منفصلاً عن دراسة بقية المكونات السردية، بل يتطلب مقاربة شمولية تربط بين الفضاء الروائي والبنية الزمنية والتطور الدرامي للشخصيات، مما يجعله عنصراً رئيسياً في فهم النسق السردي العام للنصوص الروائية. فمن منظر أصطلاحي «المكان هو الكيان الإجتماعي الذي يحتوي على

خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ومنذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي القريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفنونه وفكره.» (النصيري، ١٩٨٠م، ص١٧) إذ يُعَدّ المكان سجلاً مرئياً يدوّن فيه الإنسان تاريخه عبر البنية المعمارية، والرموز الثقافية، والنظم الاجتماعية التي تتشكل ضمنه.

إذ يشكّل المكان المحور الذي يمنح السرد انسجامه ويعززه بوصفه عنصراً جوهرياً في البناء السردي حيث «يمثل المكان مكوناً محورياً في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان فلا وجود للأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين، فهو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيلي» (بو عزه، ٢٠١٠ م، ص ٩٩) لذلك يضفي المكان أبعاداً دلالية وجمالية على العمل السردي، مما يجعله أساساً لا غنى عنه في تشكيل المعنى وبناء التجربة السردية.

يعتبر المكان في الرواية عنصراً نابضاً بالحركة والفعل، «ويعد المكان مفتاحا من مفاتيح استراتيجية القراءة بالنسبة إلى الخطاب النقدي، ويشكل محوراً من المحاور الرئيسة التي تدور حولها نظرية الأدب والمكان الروائي هو المكان المتخيل. وأن الفضاء الروائي يحتاج الى أمكنة عديدة ذات بنية نابضة بالحركة والفعل. ويكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة ودلالة خاصة فهو ليس فقط مكانا فنياً، وليس فقط عنصراً من عناصر الرواية، وإنما هو المكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك فيه الشخصيات.» (عبيدي، ٢٠١١م، ص٢٦) وهكذا، يتحول المكان إلى أداة ذات دلالة خاصة، تعكس تأثيره الكبير في توجيه مسار الأحداث وتشكيل علاقات الشخصيات داخل الرواية.

لذلك يُعتبر المكان أحد الركائز الأساسية في نظرية الأدب، إذ يُنظر إليه في الرواية كحيّز متصوَّر مليء بالحركة والديناميكية، مما يجعله مكوناً أساسياً في البناء السردي. «فمرجعية الإنسان الأولى تعلقت بالمكان ليبني منظومته ، كما أن المكان هو الركيزة الأساسية التي يتعامل بها الإنسان مع الوسط الذي يعايشه، وينتمي إليه. فالمكان في نظر يوري لوتمان حقيقة معيشة تؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان قيما تنتج من التنظيم المعماري كما ننتج من التنظيم الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على الناس الذين يلحون إليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة.» (سيزا، ٢٠٠٤م، ص٨٣) حيث يُعَدُّ المكان نقطة الارتكاز الأولى التي يتفاعل معها الإنسان، سواء من خلال انتمائه إليها أو من خلال طريقة تعامله مع الوسط الذي يعيش فيه.

المكان المغلق

المكان المغلق في الرواية يُشير إلى الفضاءات المحدودة التي تمتلك حدوداً مادية واضحة، مثل الغرف، المنازل، الزنازين، أو أي موقع ضيق يحيط بالشخصيات ويقيّد حركتها. يُعد المكان المغلق في الرواية عنصراً ذا أهمية رمزية ونفسية، حيث يصور أحياناً شعور الشخصيات بالعزلة أو الحصار، أو يُبرز صراعها الداخلي في مواجهة الضغوط الخارجية.

الأماكن المغلقة غالباً ما تُصبح مواقع للأحداث الحاسمة في الرواية، حيث يجتمع فيها عدد قليل من الشخصيات، ما يسمح بتكثيف الصراع أو الحوار بينها.

«الأماكن المغلقة لها حميميتها وخصوصيتها، فهي ذات صلة مباشرة بالشخصية، لما تضيفه من ألفة وسكينة ورغبة في التخلص من أعباء العالم الخارجي، فالأماكن المغلقة مرتبطة بالجانب الشخصي من الإنسان، على نقيض الأماكن

المفتوحة التي تعد أماكن عبور وتفاعل بين الناس، وملكية عامة بينهم، بينما الأماكن المغلقة تحدها جهات معينة وتتعلق على أسرارها الخاصة، فتشعر الشخصية وهي بداخلها بالأمان كالبيوت، أو بالخوف كالسجن. (حراحشة،٢٠٢١م، ص٢٣٠) ومن أبرز الأماكن المغلقة التي جاءت في النص الروائي والتي تمثل محور دراستنا:

البيت

البيت في الرواية كمكان مغلق يحمل أبعاداً ودلالات متعددة تختلف حسب السياق الذي يظهر فيه وأحداث العمل الروائي. غالباً ما يكون البيت رمزاً للأمان والاستقرار، حيث يُمثل الفضاء الذي تجد فيه الشخصيات ملاذاً بعيداً عن الفوضى أو المخاطر الخارجية.

في هذا السياق، يصبح البيت رمز الحماية والدفء، وفضاءً تستعيد فيه الشخصيات قوتها لمواجهة العالم الخارجي. «البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج مع أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة. يمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة كثيرة ما تتداخل، أو تتعارض وفي احيانا تنشط بعضها بعضاً في حياة الإنسان ينحي البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية. البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول.» (باشلار، ١٩٨٤م، ص٣٨) ومن البيوت التي وردت في الرواية بيت "ابو جاسم" يقول: «ذهبت إلى دار ابو جاسم وقد نصب (جادر) كبير في باب الدار، هب هو وأولاده وإخوانه لاستقبالي مرحبين بالدكتور كما يسموننني هم كذلك فكل من يعمل في المجال الطبي والصحي هو دكتور برأيهم، وأنا أعرف أغلبهم من الرجال والأطفال والنساء من خلال إجراء الفحوصات المختبرية لهم وبالخصوص فحوصات حمى (مالطة) المصاب بها أغلبهم

نتيجة لملامستهم الحيوانات وشربهم لحليبها ومنتجاتها غير المبسترة، حيث كان الصبي عليوي ابن فنجان تتكرر إصابته بشكل دائم تقريبا.» (الرواية، ص١٨)

تعتبر دار "أبو جاسم" فضاء للتجمع والعلاقات الاجتماعية والإنسانية. الدار كمكان مغلق يتجاوز كونه فضاءً جغرافياً ليصبح يمثل صورة للتواصل الإنساني، والمعاناة المشتركة. يبين النص التفاعل بين الراوي وأفراد المجتمع، مسلطاً الضوء على البعد الإنساني والواقعي للمكان المغلق، ودوره في تشكيل العلاقات الإجتماعية وفي التعبير عن التحديات الحياتية التي يواجهها سكانه.«إن البيت كفضاء للسكنى، يجسد قيم الألفة بإمتياز ولأن البيت مأوى الإنسان، فإنه يمثل وجوده الحميم، ويحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية؛ لأنه يمنحه شعورا بالهناءة والطمأنينة والراحة وذلك في المقابل ما يتعرض له في محيطه الخارجي من تهديد وأذى.» (بوعزة، ٢٠١٠م، ص١٠٦) في هذا الإطار، يُعتبر البيت ملاذاً يحتفظ بأسرار الإنسان ويفيض بتفاصيل حياته الأكثر خصوصية، مما يتيح له شعورا بالسلام الداخلي والاطمئنان.

قد يتجاوز البيت وظيفته المادية ليصبح مكاناً للأمان، التضامن، والمأوى النفسي والجسدي في مواجهة الخوف والاضطراب في الخارج. باعتبار الخارج مكان معادي «لما يثيره فيها من مشاعر الخوف القاسية، والقلق، والضياع، وينعدم فيه الشعور بالأمن، ويغيب الإحساس بالألفة؛ لما يبعثه هذا المكان للنفوس من عداء وكراهية.» (الساعدي، ٢٠٢٥م، ص٦٣) يقول في الرواية: (غادرت الساحة وبقي قلبي وروحي معلقة مع الشباب الذين لم يستطيعوا المغادرة إلا في مساء اليوم التالي حيث أمضوا ليلتهم مختبئين في البيوت المجاورة التي أجارتهم ووفرت لهم المأمن والمأكل حتى لا

يقعوا بأيدي العصابات المسلحة التي استمرت تطاردهم في الشوارع والأزقة المجاورة للساحة.) (الرواية، ص٣٠)

في هذا السياق، يمثل البيت حدوداً واضحة تفصل بين الخارج الخطِر والداخل الآمن. هذا التقسيم بين الداخل والخارج يعكس مفهوم الثنائية الضدية، حيث يمثل الداخل (البيت) الحياة والنجاة والهدوء، بينما يمثل الخارج (الشوارع والأزقة) الفوضى والعنف والموت المحتمل. هذه الثنائية تُبرز أهمية المكان المغلق في حفظ حياة الشخصيات وحمايتها من السقوط في أيدي الأعداء. «إن البيت كفضاء للسكن يجسد قيم الألفة بامتياز ولأن البيت مأوى الإنسان، فإنه يمثل وجوده الحميم، ويحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية؛ لأنه يمنحه شعورا بالهناءة والطمأنينة والراحة وذلك في المقابل ما يتعرض له في محيطه الخارجي من تهديد وأذى.» (بوعزة، ٢٠١٠ م، ص١٠٦) البيت هو نقطة انطلاق الترابط الإنساني والإجتماعي يقول في الرواية: «أجتمع نخبة من نشطاء الساحة في دار يوسف وتوجهوا إلى بيت شفاء قاصدين طلب يدها من والدها المناضل التقدمي المخضرم لرفيقهم يوسف عازمين على تجديد الأمل بالنصر هذا الأمل الذي لا يموت في ضمائر وأرواح الأحرار وكان لهم ذلك حيث احتفلوا بالعريسين في إحدى القاعات التي أنشغل مرتضى وأحمد وعلي بتزيينها بصور رفاقهم الشهداء وشعارات الثورة وكأن الجميع يشاركون فرحهم وعزمهم على مواصلة الكفاح حتى النصر بالخلاص من الاحتلال والاستغلال ومريديه من الطائفيين والفاسدين، وتم زفاف شفاء ليوسف وتأسيس جديد يضم عائلة ثورية تتطلع لمستقبل عراقي مزدهر احتفلوا في ذكرى العام الأول للانتفاضة بمولود توأم ولد وبنت الشفاء ويوسف أسمياهما (ثائر) و (أمل).» (الرواية، ص٦٥)

النص يمنح البيت دلالة خاصة تتجاوز كونه مجرد مكان مغلق. هو فضاء تتجسد فيه القيم الثورية، العلاقات الإنسانية، والأمل بالمستقبل. البيت هنا لا يعزل الشخصيات عن العالم، بل يصبح نقطة انطلاق لاستمرار النضال وإحياء الأمل، مما يجعل منه رمزاً للصمود، التجدد، والاستمرارية في مواجهة الاحتلال والاستغلال.

«البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج مع أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية. ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة. يمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة كثيرة ما تتداخل، أو تتعارض وفي احيانا تنشط بعضها بعضاً. في حياة الإنسان ينحي البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية. البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول.» (باشلار،١٩٨٤م، ص٣٨) حيث يُعدّ مرآة تعكس علاقات القوة، والتقاليد، والتحولات الثقافية التي تؤثر في تكوين الهوية، مما يجعله محوراً لدراسة الأبعاد النفسية والاجتماعية والرمزية في النص السردي.

الغرفة

الغرفة كمكان مغلق تحمل معاني متعددة، منها الخصوصية، الأمان، الانعزال، الإبداع، أو حتى المواجهة مع الذات. دلالتها تعتمد على السياق السردي والمحيط النفسي للشخصيات المكان يبدو «كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعر والحدس حيث نشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها على الآخر.» (بحراوي، ١٩٩٠ م، ص٣١) أحياناً الغرفة تحمل دلالات رمزية ونفسية عميقة تعبر عن علاقة الإنسان بواقعه الداخلي والخارجي يقول في الرواية: «ترجل جنود جهنم عن صهوات نيرانهم التموزية اللاهبة، فتسللت نسائم المساء عبر نافذة غرفتي استنشقت خياشيمي عذوبة برودة منعشة، فصوبت نظراتي متحديا مكيف الهواء

المصاب بالشلل وهو يترقب بعيون الاستجداء والجزع منذ أكثر من ثماني ساعات سريان الحياة في شرايين الأسلاك الكهربائية (الوطني).» (الرواية، ص١١)

الغرفة هنا تدل على الانعزال والانتظار والتفاعل الحتمي مع الخارج، حيث تختلط مشاعر الجزع بالأمل. من خلال تفاصيلها (النافذة، المكيف، انقطاع الكهرباء)، تصبح الغرفة مكاناً للحياة اليومية المثقلة بالأزمات لكنها في الوقت نفسه تحمل بداخلها دلالات خافتة للراحة المؤقته والتطلع إلى التغيير.«إن علاقة ذات الشخصية بالمكان بوصفه وعاء نفسياً تصب فيه الشخصية مشاعرها وأحاسيسها، ذات طبيعة تأثيرية والشعور الأكثر بروزاً هنا هو الإحساس بالاندماج والالتحام مع هذا المكان بكل محتوياته ولكن ليس بصيغة مباشرة، بل اتخذت المكان كوسيلة للتعبير عن هذا الإحساس.» (محمدي، ٢٠١١م، ص١٠٧) لذا لا تُعد الغرفة مجرد حيّز مكاني محصور، بل هي مجال تتكثف فيه الأبعاد النفسية والرمزية، إذ تعكس علاقة الشخصية بذاتها وبالعالم الخارجي، وتؤدي دوراً أساسياً في تشكيل هويتها السردية.

المقهى

المقهى مكاناً يحمل دلالات إجتماعي ونفسية وثقافية، في الأدب ينظر إلى المقهى بأنه حيز يعكس أنماط التفاعل بين المجتمع، فهو يجمع بين الأفراد من مختلف الهويات والقوميات، وهو مساحة لتكوين العلاقات الإجتماعية. «حيث لا يركن بساكنيه المؤقتين، بل يسوح بهم في ربوع أمكنة أتوا منها وسوف يرحلون إليها، هي ذي المخيلة الشعبية التي تتجمع أوصالها في ذلك الوعاء فتكتسبه تشكيلة جمالية خاصة، (نصير،١٩٨٠م، ص٤٠) يصبح المقهى أحياناً مكاناً يتيح مساحة للحوار العميق والتفكير في قضايا أساسية بعيداً عن التشتت. «إنها مفتوحة للكل، الكل يلجّها، أقول

على الخارج بما فيه من أشخاص، فداخلها يتجدد كمياه البحر وفي تجدده تتعدد المشارب والأهواء وتتعانق اللغات والقضايا وبالتالي هو مكان الفرجة على الآخر.» (صدوق، ١٩٩٤م، ص٥٣) يمثل المقهى في الرواية فضاءً اجتماعياً متعدد الأبعاد يتجاوز كونه موقعاً جغرافياً بسيطاً، ليصبح رمزاً لحداثة الزمان وميداناً للتفاعل بين شخصيات متنوعة

يقول في الرواية: «فاتفقت مع مصطفى على لقائه بعد نهاية عملي في الساعة الثامنة ليلاً في إحدى مقاهي الكوفي شوب في المدينة لاستكمال الحديث بشكل هادئ ومفصل دون مقاطعة، متسائلاً مع نفسي: هل يمكن أن يكون للأدب والرواية على وجه الخصوص أثر إيجابي للمساعدة في بث شرارة الوعي في بعض رؤوس المغفلين ويدفعهم إلى تغيير سلوكياتهم والبحث عن الحقيقة؟...تواصلت مع (مصطفى) بعد مغادرتي محل عملي لكي يدلني على المكان الذي سنلتقي به، وكان ذلك في مقهى الـ (كوفي شوب) في كازينو الشراع في شارع الإسكان، فوجدته منتبذاً مكاناً في أحد زوايا المقهى بعيداً عن الضوضاء.» (الرواية، ص٣٢، ٤١)

المقهى هنا ملاذ آمن من صخب الخارج، ومكان يوفر الهدوء والخصوصية اللازمين لتبادل الأفكار حول قضايا مهمة وعميقة فهو «يستوعب الجميع، ويحتوي الجميع دون شروط مسبقة وبدون مواعيد مسبقة.» (نابلسي، ١٩٩٤م، ص١٩٨) وبهذا يصبح المقهى عنصراً فاعلاً يسهم في بناء الحبكة وإبراز الطابع النقدي للنص، إذ يعبّر عن الحالة النفسية والثقافية للشخصيات التي تتجمع فيه.

المختبر

المختبر كمكان مغلق يُمثل فضاءً له دلالات رمزية وعملية في الأدب والسرد، فهو يختلف عن الأماكن المغلقة الأخرى من حيث طبيعته الوظيفة والتركيز على العلم والتجربة. المختبر هو فضاء محدد بدقة، مليء بالقواعد، حيث يحدث البحث والتجربة واكتشاف الحقيقة.

يقول في الرواية: «أعود فأسال نفسي وأنا أجلس خلف مكتبي وأمامي المجهر حول ما أقوم به من عمل، فمرة كمحلل طبي فني، ومرة كمحلل سياسي، مرة يجب أن أحلل النماذج أمامي المأخوذة من المريض من أجل تشخيص مرضه، وبدون أن أمدح نفسي فقد كنت محللا طبياً جيداً، وتحليلاتي معتمدة من قبل السادة الأطباء مما يثير لدي الرضا عن نفسي وما أتقاضاه من أجر مقابل إجراء الفحوصات، مع الأخذ بتوصية بعض الأطباء بمراعاة وضع المريض المالي، حيث أتنازل عن كل أو بعض من أجرة التحاليل المطلوبة لمثل هؤلاء المرضى.» (الرواية، ص ١٢)

المختبر في النص مكان للعمل الفني، ومكان يمنح السارد فرصة للتأمل الذاتي، تقييم عمله ودوره في الحياة، ومعرفة مدى تأثير عمله على الآخرين. المختبر هنا يحتضن القيم الإنسانية مما يجعله مكان يمثل التكامل بين العمل والإنسانية «أن المكان مؤهل للكشف عن لا وعي الشخصية ومشاعرها النفسية ومواقفها الاجتماعية، لأنه ببساطة لا معنى ولا دلالة للمكان بعيدا عن الإنسان.» (حسين، ٢٠٠٠م، ص ٩٠) وهذا يعني أن أي تحليل لمكان ما في النص السردي يجب أن يأخذ في الحسبان العلاقة التكاملية بين الإنسان والفضاء الذي يتواجد فيه، إذ يتشكل معنى المكان من خلال انعكاس التجارب الإنسانية والعواطف الداخلية، مما يجعل المكان مرآة للكائن الإنساني بكل أبعاده النفسية والاجتماعية.

المكان المفتوح

المكان المفتوح في الرواية يمثل فضاءً غنياً بالدلالات والإشارات التي ترتبط بالحرية، الصراع، الانكشاف، والحركة. سواء كان مجالاً للنضال، التعبير عن الذات، أو البحث عن الحقيقة، فهو يشكل عنصراً أساسياً في تطور الشخصيات ورسم السياق العام للرواية.

الأماكن المفتوحة قد تمثل أحياناً رغبة الشخصيات في التحرر من القيود الاجتماعية أو النفسية التي تفرضها الأماكن المغلقة. «هو المكان الذي لا تحدده الحدود الفاصلة بين الناس بل هو مكان للناس كلهم له قوانين عامة وملك للجميع، ويتردد عليه الفرد من دون قيد شرط مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي أي ممارسة سلوك غير سوى وهو عنصر أساس تتحرك من خلاله الشخصيات الروائية، فضلا عن كونه عضيد الزمن الذي يتعامل منه، وتمثله الشوارع والساحات والأنهار.... وتأتي هذه الأمكنة أحيانا عدوانية طاردة موحشة وأحيانا أخرى أليفة مستأنسة مملوءة بالألفة والقيم الجمالية وذلك على حسب علاقة الشخصية بها. (حراحشة، ٢٠٢١م، ص ٢٠) ومن الأماكن المفتوحة التي نحن بصدد دراستها:

الساحة

الساحة تمثل فضاءً مفتوحاً يتجاوز حدود الجغرافية ليصبح رمزاً للنضال الشعبي. الثوار المنتفضين يجسدون الكفاح الجماعي والوطني ضد قوى القمع والهيمنة. فهي المكان الذي يجتمع فيه الأفراد ليؤكدوا على هويتهم المشتركة ورفضهم للظلم.

يقول في الرواية: «حينما دخلت الساحة كان الرصاص ينهمر على المنتفضين كالمطر وجدت المنتفضين في هياج كبير مسلحين بالهراوات أو عيدان حمل اللافتات والعصي البسيطة يشد أزر بعضهم بعضاً بضرورة الصمود والدفاع عن ساحاتهم

وخيامهم .... وقد ذكر لي الحضور أن جثة الشاب الجامعي (مهند القيسي) كانت ممدة في الخيمة، هذا الشاب الذي هرع من بيته صوب الساحة فور سماعه بخبر اقتحام الساحة من قبل المليشيا، أتى مهرولا ليستعلم أخبار وحال العديد من زملائه وأصدقائه هناك فكان نصيبه رصاصة أدت إلى مصرعه وهو الوحيد لعائلته ثكلت فيه أمه.» (الرواية، ص٢٧)

مصرع الشاب مهند القيسي داخل الساحة حول المكان المفتوح إلى مساحة للتضحية والشهادة، يحتضن الألم الجماعي الناتج عن فقدان الأحبة، المكان يوضح التناقض بين القوة القمعية وحلم الجماهير بالتغيير. لذلك «عندما يشعر الإنسان بخطر المكان الذي وجد فيه فإنه يشعر بالخوف والحزن في داخله، ولا يقتصر على هذا الإحساس بل يتعداه إلى جسمه.» (محمود، م٢٠١٦، ص٦٨) في هذا السياق، يُعبِّر النص عن العلاقة التكاملية بين الحالة الداخلية للإنسان واستجابته للمحيط الذي يعيش فيه؛ إذ يصبح المكان عاملاً محفزاً لمشاعر الخوف والحزن، تترجم فيما بعد إلى تأثيرات جسدية.

الشارع

الشارع باعتباره مكاناً آمناً مفتوحاً يمثل الحرية، التحول، والتفاعل، ولكنه أيضاً يصور المخاطر وعدم اليقين. إنه فضاء تتقاطع فيه الأبعاد النفسية والاجتماعية والسياسية، مما يجعله عنصراً أساسياً في تطور الشخصيات وحبكة النص.

يعتبرالطريق انعكاس للعالم الخارجي وللرحلة الداخلية للشخصيات، حيث يُجسد التحديات والآمال التي تواجهها أثناء سعيها نحو تحقيق ذاتها أو الوصول إلى هدفها. لذا «يعد الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة، أو أحد علاماتها المكانية البارزة تنفتح فيه الأبواب و تتحرك فيه الشخصيات والشوارع أماكن مفتوحة تستقبل كل فئات المجتمع

وتمنحهم كامل حرية التنقل وسعة الاطلاع وهي لا تقوم على تحديدات ولا حدود ثابتة، بل تمثل بالنسبة للشخصيات أماكن مرور وتوقف وانطلاق.» (بن هاشم ٢٠١٦م، ص٢٩) أن الشارع مكوناً أساسياً من نسيج المدينة، إذ يبرز كعلامة مكانية تعكس نبض الحياة الحضرية. ولا يقتصر دوره على كونه مساراً للنقل فحسب، بل يتجسد كفضاء مفتوح يضم كافة شرائح المجتمع، مانحاً إياهم حرية التنقل والتفاعل دون قيود أو حدود ثابتة.

الطريق قد يكون ساحة للأحتجاجات والمواجهات، بين السلطة والجماهير، يتحول حينها الطريق إلى رمز للنضال الجماعي وصراع مع السلطة وقد تجلى هذا المعنى في الرواية يقول: «كان السائق الذي استأجرته من وراء الحاجز رجلاً يبدو في الخمسينيات من عمره بدا لي متذمرا من ظاهرة حرق الإطارات وغلق بعض الطرق، حيث بادرني قائلا: بروح أبوك أستاد يعجبك هذا الحال غلق الطرق والدخان وتوقف العمل مما أثر على رزقنا وصحتنا وعطل أعمال الكثير من الناس؟ والله يا أخي طبعاً لا يرضيني هذا الوضع، ولكن كما يقال : شجابرك على المر غير الأمر منه فأنت لا ترى ما يتعرض له الشباب من قتل عبر القنابل الدخانية للقوات الأمنية فتستنكر على الشباب حرق الإطارات وغلق الطرق للحفاظ على حياتهم . ومن أجبرهم على هذا الفعل ليتعرضوا للمطاردة والقتل؟ أرى إنك لا تعيش في العراق أيها العزيز، أليس لديك أبناء تحطم البطالة أحلامهم، ألا ترى عشرات السيطرات تغلق الطرق وتعطل الأعمال؟ ألا تشهد الثراء الفاحش للسلطويين وأتباعهم مقابل زيادة فقر الفقراء؟ ألا ترى وترى وترى؟ فكيف تلومهم ولا تلوم السلطات الحاكمة وهي تستأثر بالسلطة والثروة لها ولأتباعها.» (الرواية، ص ٢٦)

النص يبرز الشارع باعتباره مكاناً مفتوحاً يحمل معانٍ متداخلة، فهو دلالة للنزاع والاحتجاج، ومنصة للمواجهة بين السلطة والشعب، ومرآة تعكس التوترات الطبقية والاجتماعية. الشارع هنا فضاء تتجسد فيه صراعات الواقع العراقي بين القمع والحرية، الغنى والفقر، الأمل واليأس. إنه مكان يختزل في انفتاحه كل معاناة المجتمع وتعقيداته السياسية والاجتماعية. «فضاء الشارع أحد الفضاءات المفتوحة للشخصيات الموجودة فيها، حيث يعبر القاص من خلالها عن الصور والمفاهيم التي تساعدنا على تحديد سماتها الأساسية والإمساك بمجموع القيم والدلالات المتصلة بها.» (محمدي، م٢٠١١، ص٥١) بهذا الشكل، يتحول فضاء الشارع إلى إطار تعبيري يُمكّن القاص من تصوير الشخصيات ضمن سياق اجتماعي غني، مما يسهم في إضافة عمق ودلالات متعددة على النص السردي، ويُبرز العلاقة الجوهرية بين الفرد ومحيطه الاجتماعي.

النتيجة

يشكل المكان في رواية "بركان" عاموداً فقرياً للسرد ودعامةً أساسية لبنية النص، حيث يتجاوز دوره كفضاء جغرافي ليصبح حاملاً للرموز والدلالات التي تعكس تعقيدات الواقع الاجتماعي والسياسي والنفسي للشخصيات. يتنوع حضور المكان بين المغلق والمفتوح، وبين الاحتواء والانكشاف، ليخلق شبكة متشابكة من العلاقات بين الشخصيات والمجتمع والسلطة.

تحولت الأماكن الواقعية مثل ساحات الاحتجاج في الرواية إلى سردية توثيقية للأحداث الدموية التي عاشها العراق خلال انتفاضة تشرين، حيث ارتبطت الأماكن في الرواية بهوية المتظاهرين، فالساحات أصبحت رمزاً لوحدة العراقيين ضد التقسيمات الطائفية، مما يظهر دور المكان في تشكيل الوعي الثوري.

المكان المغلق، كما يظهر في النصوص، يعبر عن الحماية المؤقتة، العزلة، والانعزال عن الصراعات الخارجية، لكنه في الوقت نفسه يحمل في طياته توترات داخلية ويفتح باب التأمل والتفكير. سواء كان الغرفة، المختبر، أو البيت، المقهى، فإن الأماكن المغلقة تُصور كملاجئ من قسوة العالم الخارجي، لكنها لا تخلو من الأعباء النفسية التي تواجه الشخصيات بداخلها، مما يعكس تعقيد العلاقة بين الداخل والخارج. أما المكان المفتوح، مثل الساحة، الطريق، فيمثل مسرحاً للنزاع والمواجهة بين القوى المتصارعة. الساحة تتحول إلى رمز للثورة والمقاومة، حيث تتجسد فيها أحلام الشباب وتضحياتهم، بينما يمثل الطريق حالة الانتقال بين اليأس والأمل، بين قمع السلطة وصمود الجماهير. الطريق يحمل دلالات للتفاعل الاجتماعي والانفتاح على العالم، لكنه أيضاً يظلان محملين بالمخاطر والانكشاف، وهذا يوضح مدى هشاشة الواقع الذي يعيشه الأفراد في ظل القمع والظلم.

في النهاية، المكان في رواية بركان هو عنصر ديناميكي يظهر الصراعات الإنسانية والاجتماعية والسياسية في الرواية. سواء كان مغلقاً أو مفتوحاً، فإن المكان يُبرز تعقيدات الحياة اليومية في سياق محلي مثقل بالمعاناة والتحديات. الرواية تقدم المكان كحامل للذاكرة والهوية، وشاهد حي على التحولات التي تعصف بالمجتمع، مما يجعل منه جزءً لا يتجزأ من تجربة الشخصيات وتطورها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. آبادي، محبوبة محمدي محمد (٢٠١١م.) جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، سورية، دمشق، مطبعة الهيئة العامة السورية للكتاب، بدون طبعة.

٣. ابن منظور (ت. ٧١١هـ)، (١٩٥٦م.) لسان العرب، دار الصادر – بيروت، ط٣.

٤. باشلار، غاستون، (١٩٨٤م.) جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط٢.

٥. بحراوي، حسن، (١٩٩٠م.) بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط١.

٦. بن هاشم، يمينة، يعيشاوي، حنان، (٢٠١٦م.) جماليات المكان في رواية "كامارد" رفيق الحيف والضياع، للروائي حاج أحمد الصديق، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أحمد دراية – أدرار (الجزائر)، بدون طبعة.

٧. حراحشة، منتهى طه، (٢٠٢١م.) أنماط المكان في الرواية: سيدات الحواس الخمس، جلال برجس، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢، بدون طبعة.

٨. خالد حسين، (٢٠٠٠م.) المكان في الرواية الجديدة: الخطاب الروائي (أدوار الخياط نموذجًا)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة دمشق، بدون طبعة.

٩. خليلي، سيزا قاسم، (٢٠٠٤م.) بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرة، بدون طبعة.

١٠. زبيدي، محمد مرتضى، (٢٠٠١م.) تاج العروس من جواهر القاموس، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بدون طبعة

١١. ساعدي، نجاح، (٢٠٢٥م.) المكان في شعر جماعة أبولو، رسالة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بدون طبعة.

١٢. صدوق، نور الدين، (١٩٩٤م.) البداية في النص الروائي، دار الحوار، سوريا، ط١.

١٣. عبد ناصر نجم، محمود، (٢٠١٦م.) دلالات المكان في الرومانسية: هيثم بهنام بردى نموذجاً، ط١.

١٤. عبيدي، مهدي، (٢٠١١م.) جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، بدون طبعة.

١٥. فراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت. ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون سنة نشر، بدون طبعة.

١٦. محمد بوعزة، (٢٠١٠م.) تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، دار الأمان، الرباط، ط١.

١٧. نابلسي، شاكر، (١٩٩٤م.) جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمّان (الأردن)، بدون طبعة.

١٨. نصير، ياسين، (١٩٨٠م.) الرواية والمكان، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، بدون طبعة.

KSU Quran
2. Abadi, Mahbouba Mohammadi Muhammad (2011). The Aesthetics of Place in the Stories of Said Houraniyeh, Syria, Damascus, Syrian General Book Authority Press, no edition.
3. Ibn Manzur (d. 711 AH), (1956 AD) Lisan al-Arab, Dar Al-Sader - Beirut, 3rd Edition.
4. Bachelard, Gaston, (1984 AD.) The Aesthetics of Place, translated by: Ghaleb Halsa, University Institute for Studies and Publishing, Lebanon, 2nd Edition.
5. Bahrawi, Hassan, (1990 AD.) The structure of the narrative form: space, time, personality, Arab Cultural Center, Lebanon, 1st Edition.
6. Ben Hashem, Yamina, Yaishaoui, Hanan, (2016) The aesthetics of the place in the novel "Camarade", Rafiq Al-Injustice and Loss, by the novelist Hadj Ahmed Al-Siddiq, Master's Thesis, Faculty of Arts, Ahmed Derayah University – Adrar (Algeria), without edition
. 7. Harhasha, Muntaha Taha, (2021 AD.) Patterns of Place in the Novel: Ladies of the Five Senses, Galal Barjas, Journal of the Faculty of Arts, Cairo University, No. 2, no edition.
8. Khaled Hussein, (2000) The Place in the New Novel: The Narrative Discourse (The Roles of the Tailor as a Model), PhD thesis, Faculty of Arts, Damascus University, without edition.
9. Khalili, Siza Qassem, (2004). Building the Novel: A Comparative Study in the Naguib Mahfouz Trilogy, Ministry of Culture and Information, Cairo, without edition.
10. Zubaidi, Muhammad Murtada, (2001 AD.) The Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary, published by the Ministry of Guidance and News in Kuwait - The National Council for Culture, Arts and Letters in the State of Kuwait, without edition
11. Saedi, Najah, (2025 AD.) The Place in the Poetry of the Apollo Group, PhD Thesis, College of Education, Al-Mustansiriya University, without edition.
12. Sadouk, Nour al-Din, (1994 AD.) The Beginning in the Narrative Text, Dar Al-Hiwar, Syria, 1st Edition.
13. Abed Nasser Najm, Mahmoud, (2016 AD.) Significance of Place in Romance: Haitham Behnam Barada as a Model, 1st Edition.
14. Obaidi, Mahdi, (2011). The Aesthetics of Place in the Hanna Minh Trilogy, Syrian General Book Authority, Damascus, n.d.
15. Farahidi Al-Basri, Abu Abd al-Rahman al-Khalil bin Ahmad (d. 170 AH), investigated by: Dr. Mahdi al-Makhzoumi, d. Ibrahim al-Samarrai, Al-Hilal House and Library, without year of publication, without edition.

16. Mohamed Bouazza, (2010.) Narrative Text Analysis: Techniques and Concepts, Dar Al-Aman, Rabat, 1st Edition.
17. Nabulsi, Shakir, (1994). The Aesthetics of Place in the Arabic Novel, Arab Institute for Studies and Publishing, Amman (Jordan), no edition.
18. Naseer, Yassin, (1980 AD.) The Novel and the Place, The Small Encyclopedia, House of General Cultural Affairs, Baghdad, without edition.